نماذج من الأولياء الصالحين وكراماتهم في المجتمع الجزائري

الدكتور: بن عاشور الزهرة
قسم العلوم الاجتماعية
جامعة البليدة 02

Résumé:

Les croyances populaires font partie du patrimoine culturel de l'humanité, Parmi ces croyances populaires on trouve le phénomène de la vénération des saints ce phénomène est très répandu dans les sociétés arabes. Il occupe une place importante dans la société algérienne.

Nous essayions avec cette contribution de traiter les caractéristiques de ce phénomène en mettant en évidence quelques figures emblématiques des ces saints ayant exercé une influence spirituelle dans la société algérienne.

-ملخص:

تشكل المعتقدات الشعبية جزءا من التراث الثقافي للشعوب، ومن بينها الاعتقاد في الأولياء الصالحين وكراماتهم، حيث نجد هذه الظاهرة منتشرة في المجتمعات العربية، فقد تطرقنا إلى نماذج من الأولياء الصالحين في المجتمع الجزائري: عبد القادر الجيلاني، أحمد بن يوسف الملياني، عبد الرحمن الثعالبي.

-تمهيد

يحتل الأولياء الصالحون مكانة كبيرة في المجتمعات العربية عامة ومنطقة المغرب العربي بصفة خاصة ومن بينها الجزائر، حيث نجدها من أكثر المجتمعات احتراما واعتقادا في الأولياء والمشايخ وخاصة ذوي الكرامات منهم، حيث نجد في كل منطقة ولي صالح يقصده الناس للزيارة، وهذا ما زاد في رسوخ الاعتقاد بكرامات الأولياء الصالحين في المجتمعات العربية من خلال المأثورات من الحكاية الشعبية التي تناقلتها الأجيال من الناس، بقدرة الولي على أن يشفي بعض الأمراض المستعصية، العضوية منها والنفسية.

-الاعتقاد في الأولياء الصالحين وكراماتهم: ظهرت فكرة الاعتقاد في الأولياء و التبرك بهم بناء على انبهار المجتمع بكرامتهم وقدراتهم الخارقة في كشف أسرار الناس وإطلاعهم على أمورهم المستقبلية وتحقيق رغباتهم وتفريج الكروب عن اليائسين منهم و العمل على علاج المرضى بالقرآن والعمل على تعليمهم أصول الدين الإسلامي الحنيف وسنة نبيه الكريم إلى جانب تخليصهم من الحكام و ظلمهم وحمايتهم من قطاع الطرق[1]، وبهذا احتل الأولياء مكانة كبيرة في المجتمعات المعاصرة من خلال خصالهم الحميدة وأخلاقهم الفاضلة من خلال السير والكرامات المتناقلة عبر الأجيال بأنهم رجال مقربون إلى الله تعالى ،لأنهم في اعتقاد البعض روادا مصلحين، عملوا على إصلاح الأوضاع الاجتماعية والدينية بطرق ووسائل شتى لتقويم ما كان فاسدا في المجتمعات الإسلامية و بعثها من جديد على أسس قوية.

من هنا تعلقت قلوب الكثير من الناس بالصالحين وهتفت بهم الألسنة والاستغاثة بهم عند الشدائد للخلاص من المحن والنكبات، كما اعتقدوا بأن للأولياء أرواحا تبقى بعد موتهم، فشاع هذا الاعتقاد ورسخ في نفوس العامة من الناس حيث أصبحت الأضرحة والقبور ملاذا لكل خائف ومستشفى لكل مريض أصابه كرب أو نزل به سقم أو حلت به نكبة راجيا تفريج الكرب وقضاء حاجاته [2]

إن الاعتقاد في أولياء الصوفية سلوكا اجتماعيا تؤمن به العديد من الشرائح الاجتماعية مهما كان تفاوتها الطبقي الاجتماعي، فالأغنياء يمتثلون للمبادرات الاجتماعية والاقتصادية والدينية والثقافية، التي كان يتزعمها الصوفي لإنقاذ المعوزين من الجوع و العوز والحاجة حيث كان الأغنياء ينفقون على طلبة العلم المعوزين من الصوفية لديمومة التعليم وانتشاره لأنهم يعتقدون في البركة منهم، وكذلك بالنسبة إلى الطبقة المتوسطة من التجار والحرفيين، إذ كانوا يقومون بخدمة المتصوفة (الأولياء) والسهر على راحتهم واحترامهم وتبجيلهم وتقديرهم [3]، أما الفئة الدنيا و التي تمثل أكبر شرائح المجتمع، فكانت ترى في أولياء الصوفية والتبرك بهم، المخرج و الحل لكل أزماتها الاجتماعية و الاقتصادية، إن أهل تلمسان على سبيل المثال كانوا يوقفون **أبا محمد عبد السلام التونسي** (**512**هـ- **1118** م) عند باب المسجد عقب نهاية كل صلاة ويمرون أمامه ليدعو لهم.

إن عدم استقرار الأنظمة السياسية و التغير المستمر في السلطة الحاكمة وانعدام الحرية السياسية والاجتماعية، وافتقار الدولة إلى المؤسسات الدائمة الثابتة التي توفر للفرد الحماية السياسية والضمان الاقتصادي والاجتماعي، إضافة إلى الرصيد

الخرافي في الذهنية الاجتماعية مما ولد لدى الأفراد الخوف من الولي، وهذا الشعور موجود لديهم منذ الطفولة وهذا ما يؤكد استمرار الخرافة في أوساط المجتمع، لأن هؤلاء الأفراد محكومون بعقيدة الخوف من القوى الغيبية منذ الطفولة ولأنهم غير متأكدين من مستقبلهم الاجتماعي والاقتصادي.

لا يكاد يخلو أي مقام ولي صالح من وجود المقابر حوله، وهذا لأن العامة كانوا يتعتقدون أن الدفن بالقرب من الصوفي يحصل له الغفران و البركة [4]، كما بلغت درجة الاعتقاد في الصوفية كونهم كانوا يدفنون عند أبواب المدن، لحراستهم من الغزاة والأعداء، مما يوحي بإعتقاد الصوفية الجازم بقدراتهم عن الدفاع على المدينة مما أدى إلى احترامهم و تقديرهم من طرف العامة كونهم أولياء الله المتقون فعلوا المأمور وتركوا المحظور وصبروا على المقدور فأحبهم و أحبوه و رضي عنهم ورضوا عنه [5].

-**أنواع الأولياء:** لقد قسم الباحثون و الفقهاء الأولياء إلى صنفين الصنف الأول كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة، والصنف الثاني في المجتمعات المعاصرة.

أ/ الأولياء في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم و الصحابة: هؤلاء ينقسمون إلى صنفين:

-**أولياء الله:** هم المؤمنون المتقون سواء سمي أحدهم فقيرا أو صوفيا أو فقيها أو عالما أو تاجرا أو جنديا أو صانعا أو حاكما أو غير ذالك بقوله تعالى" ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين أمنوا وكانوا يتقون"[6]، فأولياء الله هم العارفون بالله عز وجل وسنة نبيه الكريم والمواظبون على الطاعات والمعرضون عن الانهماك في الملذات والشهوات[7]، ومن صفاتهم الصدق والصبر وأداء الفرائض وحفظ الحدود بعبادة الله بالاجتهاد في النوافل والطاعات والالتفات عن دقائق المكروهات .

ومن صفاتهم أيضا أن الله أعطاهم طهارة القلوب و علم التوحيد وأوصلهم إلى نجواه ومجالسة القدسية و أمات نفوسهم عن جميع الشهوات الدنيوية ، فهم لا يلتفتون إلى طلب فائدة أو علم أو حكمة حتى يكون هو الذي يفيدهم و يدلهم ولا يلتمسوا رئاسة وبشروا بفوز العاقبة من فراسة و إلهام وحكمة.[9] ، فهذه بعض صفات الأولياء في عهد الرسول الله صلى الله عليه وسلم و هذا شأنهم في الظاهر لا يخافون في الله لومة لائم، يعرفون المؤمنين بدينهم، أعزة على الكافرين، أهل رقة و رأفة ورحمة ، و كتب الله الإيمان في قلوبهم و حببه إليهم و زين ذلك أيضا في قلوبهم.

-**أولياء الحق**: هم رجال أفاقوا من سكرتهم و تابوا إلى الله تعالى و عزموا الوفاء له بالتوبة، و هذا بحراسة جوارحهم السبع من لسان، سمع، بصر، يد، رجل ،بطن و فرج فصرفها عن باله وجمع فكرته و همته في هذه الحراسة و لهى عن كل شيء حتى استقام، فهؤلاء كلهم أولياء الحق، يسيرون إلى الله تعالى في مراتبهم فيحلون بها، فلا يشتغلون بشيء إلا ما أذن لهم فيه من أعمال فإذا صرفهم الله من المرتبة إلى الأعمال أبدوا حرسهم على أداء الأعمال ثم ينقلبون إلى مراتبهم، فكانوا يلتقطون كلام أولياء الله ثم يخلطونه فيصوغونه حكايات فيرموا بها قوما يتزينون بذلك عندهم و يفسدون عليهم حياتهم،فتفوض لهم الأمور، وتصبح لديهم مرتبة في ذلك القوم نتيجة أعمال البر التي قاموا بها، أي من خلال حيلهم فينالون موقع القربة، ليعتقوا من رق النفس و هذا ما يدفع بالناس لمحبتهم وتقديرهم، فعملهم لا يخلو من التزيين والرياء.[10]

ب/ الأولياء في المجتمعات المعاصرة: هناك نوعان من الأولياء في المجتمعات المعاصرة، وهما:

-**أولياء الله الصالحين:** يطلق عامة أولياء الله الصالحين على المتقين المتقربين إلى الله تعالى بأداء الفرائض و العمل بكتاب الله و سنته من فعل للواجبات و ترك المحرمات ومن صفاتهم العدل وصدق النية عند الله عز وجل ، كأداء الصلاة في أوقاتها ونصرة المظلوم ، فكان يعتبر عند العامة من الناس الرجل الصالح المدافع عن الحق ويقتدي به من خلال خصاله الحميدة كونه ينتمي إلى طريقة تصوف معينة، ونظرا إلى لخدمات الجليلة التي قدمها أهل التصوف في المجتمعات العربية ومن بينها الجزائر، أصبح يعتمد عليهم كليا في مواجهة الأزمات الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تعترضهم من أوبئة او أمراض وعوز أو حاجة في الوقت الذي عجزت الدولة أو السلطة على التكفل والاهتمام بحل المشاكل التي كان يتخبط فيها المجتمع، ومع مرور الزمن ترسخت فكرة تقديس الولي الصالح المتقي والمساعد للمظلومين، فكان بالنسبة إليهم إنسانا عظيما عليهم تكريمه في حياته و هذا بالعمل على خدمته وتحقيق طلباته والسهر على رعايته ، وبعد موته يكرم بأن تبنى له قبة، فيقصده العامة للزيارة، لمحاولة قضاء حاجاتهم من طلبات أو شكوى، كما كان في حياته يسعى لقضاء حوائج الناس و العمل على تحقيقها.

إنه يسعى دائما إلى إصلاح أمور المسلمين و تعليمهم أصول الدين الإسلامي الحنيف والمساهمة في حل المشاكل الأسرية والعائلية و القبلية، فكان بمثابة

الحاكم والقاضي والإمام والأمين، فصفاته وأخلاقه الحميدة هي من أسمى مميزاته لذا حظي باحترام العامة من الناس وخصه الله بكرامات وخوارق التي ظهرت خلال حياته والتي تميزه عن غيره من الناس حيث كان أغلب الأولياء الصالحين تابعين لطريقة صوفية معينة ينتهج مساره كل المتصوفة ثم تصاغ لهم قصص أسطورية تحكي أهم أعمالهم و نشأتهم وأهم كراماتهم بعد موتهم. فالكثير من الأولياء نالوا شهرتهم الواسعة و عرفهم الأتباع من خلال تشكيلات الطرق الصوفية المختلفة، بما يلقاه من تكريم من طرف الصوفية من خلال أعماله واجتهاداته والتي في الغالب تحمل اسم طريقة معينة، كالقادرية والأحمدية والشاذلية إلى غير ذلك من الطرق[11]

2- مراتب الأولياء عند الصوفية

لقد وضع رؤساء الصوفية مراتب وألقابا من عند أنفسهم وهذا اجتهاد منهم لأنها لم ترد في الكتاب والسنة، حيث قسمت الولاية على أساس الكرامات إلى:

ا- القطب: القطب هو القائم بحق الكون والمكون وهو واحد وقد يطلق على من تحقق بمقام وعلى هذا فيتعدد في الزمان الواحد أقطاب في الأحوال والمقامات والعلوم [12] ، و يمثل قمة الهرم و هو كبير القوم و مهبط الرحمة و مصدر البركات ولا يتعدد صاحبها حتى يخلفه غيره و هم ثلاثة:

القطب الأول: هي روح محمد صلى الله عليه وسلم.

القطب الثاني : وهو القطب العالم الإنساني، ويعنون به أن الأرض لا تخلو من رسول حي بجسمه ويدعون أن الله قد أبقى بعد محمد صلى الله عليه وسلم من الرسل الأحياء في هذه الدنيا مثل: إدريس وإلياس وعيسى عليهم السلام والخضر.

القطب الثالث: يعتقد الصوفية بأن كل هذا الكون و تصريفه بيد القطب وكأنه الوزير النائب عند الله فلا يكون شيئا في هذا الكون إلا عن طريق القطب الصوفي المزعوم ، وهو الغوث حسب ما جاء في الفتوحات الإسلامية (المكية) بأن واحد موجود في هذا الزمان و أن مدة حكمه غير معينة، وإنما هي بحسب ما قدرها الله له[13] ، ثم ننتقل إلى المرتبة الثانية التي وضعها المتصوفة الأولياء وهي:

ب- الإمامة: و تكون عن اثنين من يمين القطب و شماله، فيكونوا بمنزلة الوزراء منه أحدهما عبد الرب، والآخر عبد الملك ، و يخلفه أحدهما عند موته.

ج-الأوتاد: أما الأوتاد فهم الراسخون في معرفة الله ،كأنهم أوتاد لأركان الكون الأربعة وهم أربعة في كل زمان، يحفظ الله بأحدهم المشرق و بالثاني المغرب و بالثالث

الجنوب و بالرابع الشمال، فيعتقد المتصوفة بأن الأوتاد يحفظون هذا الكون الذي نعيش فيه.

د-الأبدال: وهم سبعة و يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة، وهم عارفون بما أودع الله سبحانه و تعالى من الكواكب السيارة، من أمور وأسرار في حركاتها و نزولها في المنازل المقدرة، و سميوا أبدالا لأن أحدهما إذ فارق الحياة أو فارق موضعها ترك فيه شخصا روحانيا على صورته.

هـ- النقباء: النقباء :فهم اللذين نقبوا الكون وخرجوا إلى فضاء شهود المكون، و هم اثنا عشر على عدد بروج الفلك، وكل نقيب يكون عالما بخاصية كل برج إذ هم الذين يعرفون ما في الضمائر، أي يعلمون الغيب.

و- النجباء: أما النجباء فهم السابقون إلى الله لنجابتهم وهم أهل الجد والقريحة من المريدين وهم ثمانية، ومقامهم الكرسي، ولهم قدم راسخة بعلم تسيير الكواكب من جهة الكشف والإطلاع.

ز- الشيوخ: و هم أربعون، هؤلاء يعقدون الجلسات الروحية ليلة الأربعاء من كل أسبوع فتعرض عليهم فيها أمور الناس و أحوالهم فيقسمون فيها الحظوظ و الأرزاق ثم يبعثون بقراراتهم إلى "النجباء" و" النقباء" فيخبرون بها الناس.[14]

3- الكرامات عند الأولياء الصالحين

هناك اختلاف بين الفقهاء و العلماء و المتصوفة فيما يخص بجواز الكرامات للأولياء أو نفيها، فالاتجاه الأول ينكر وجود الكرامات عند الأولياء ومن بينهم المعتزلة ومن تأثر بهم، حيث زعموا أن الخوارق لو جاز ظهورها على يد ولي، بأنه لا يجوز ظهور خارق إلا عند النبي، بينما نجد اتجاه آخر يبالغ في الغلو في شأن كرامات الأولياء ويمثل هذا الاتجاه بعض المتصوفة الذين بالغوا في الإشادة بذكر كرامات الأولياء وخوارقهم فادعوا باسم الكرامة للأولياء ما من خصائص الله عز وجل و معجزات أنبيائه. و اتجاه ثالث يأخذ بما جاء في الصحيحين أنه من الثابت ظهور الكرامات على يد الأولياء و الصالحين والصحابة والتابعين في زمان النبي صلى الله عليه وسلم و بعد وفاته، فظهرت العديد من الكرامات عند الصالحين والمتقين من أمته، فالقرآن الكريم أخبرنا بكرامات ظهرت على يد صالحين ليسوا بأنبياء، أهمها :

- **كرامة السيدة مريم** " مريم القديسة "، هي ابنة عمران التي كان يأتيها رزقها من طعام وشراب من غير إحضار أو سعي منها أو علم أحد أو صناعته حيث كان معجزا في نوعه ووقته، فكانت فاكهة الصيف تأتيها في الشتاء، والعكس، فاكهة الشتاء

تأتيها في الصيف، وهذا في قوله تعالى:« كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا، قال يا مريم أنى لك هذا، قالت هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب »[15] ،فحملها و ولادتها لعيسى (عليه السلام) و وجود الشجرة المثمرة كظل و طعام كرامة لها، ودفاع عيسى (عليه السلام) عنها و هو في المهد بقوله تعالى في كتابه : «فأشارت إليه، قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا، قال إني عبد الله آتاني الكتاب و جعلني نبيا» .[16]

- **كرامة أهل الكهف**: هم أناس صالحون هاجروا من أرض الظلم و خرجوا بدينهم ، فناموا ثلاثة قرون و تسعة أعوام، و الله يرعاهم برعايته و هذا بإبعاد عنهم حرارة الشمس و أشعتها في شروقها و غروبها، في قوله تعالى:« و ترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين، وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه[17] .

- **كرامة العزير** :الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه [18] في قوله تعالى:« أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحي الله هذه بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه » [19] وهذا تأييد لكرامات المتقين والصالحين الذين خصهم الله برحمته وبكرامات تميزهم عن الآخرين وليكونوا عبرة للأجيال.

كما استدلوا على جواز الكرامات بأخبار كثيرة منها ما ورد في الصحيحين، فالأحاديث الصحيحة نصت على كرامات عديدة وقعت لأناس صالحين قبل البعثة المحمدية، منها ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي (ص) قال :«لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة، عيسى ابن مريم عليه السلام، وصبي في زمن جريج الناسك، و صبي آخر. أما عيسى فقد عرفتموه، و أما جريجا فكان رجلا عابدا من بني إسرائيل و كانت له أم، فكان يوما يصلي إذ اشتاقت إليه أمه فقالت يا جريج، فقال: يارب، الصلاة خير أم رؤيتها؟ ثم صلى فدعته ثانيا فقال مثل ذلك حتى قال ثلاث مرات، و كان يصلي و يدعها، فاشتد ذلك على أمه، فقالت : اللهم لا تمته حتى توريه المومسات ، وكانت زانية هناك فقالت اللهم أنا أفتن جريجا حتى يزني، فأتته فلم تقدر على شيء، وكان هناك راع يأوي بالليل إلى صومعته، فلما أعياها، راودت الراعي عن نفسه فأتاها، فولدت ثم قالت، ولدي هذا من جريج، فأتاه بنوا إسرائيل وكسروا صومعته و شتموه، فصلى ودعا ثم نخس الغلام، فقال: يا غلام من أبوك ؟ فقال الراعي، فندم القوم على ما كان منهم و اعتذروا إليه و قالوا له نبني صومعتك من ذهب أو فضة، فأبى عليهم و بناها كما كانت » [20]، وأما الصبي الآخر: فإن امرأة

كان معها صبي لها ترضعه إذ مر شاب جميل ذا شارة حسنة، فقالت "اللهم اجعل ابني مثل هذا"، فقال الصبي، "اللهم لا تجعلني مثله"، ثم مرت بها امرأة ذكروا أنها سرقت و زنت وعوقبت، فقالت اللهم لا تجعل ابني مثل هذه، فقال الصبي: اللهم اجعلني مثلها فقال: إن الشاب كان جبارا من الجبابرة فكرهت أن أكون مثله، و إن هذه قيل إنها زنت ولم تزن و قيل إنها سرقت و لم تسرق، وهي تقول حسبي الله [21].

نقلت كرامات عن الصحابة رضي الله عنهم منها الذي روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه بعث جيشا وأمر رجلا يدعى سارية بن الحصين، بينما هو أي عمر بن الخطاب يخطب في الجمعة جعل يصيح في خطبته و هو على المنبر،« يا سارية، الجبل الجبل »، فقال علي بن أبي طالب فكتبت تاريخ تلك الكلمة، فقدم رسول مقدم الجيش، فقال: يا أمير المؤمنين غزونا يوم الجمعة في وقت الخطبة فهزمونا فإذا بإنسان يصيح، «يا سارية الجبل الجبل» فأسندنا ظهورنا إلى الجبل فهزم الله الكفار وظفرنا بالغنائم العظيمة ببركة ذلك الصوت.[22]

كذلك يروى عن البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :« صلى رسول الله صلى الله عليه و سلم صلاة الصبح، ثم أقبل على الناس فقال: بينما رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها، فقالت: أنا لم اخلق لهذا إنما خلقنا للحرث، فقال الناس سبحان الله، بقرة تتكلم ؟ فقال: فإني مؤمن لهذا أنا ».[23]

كما ظهرت الكرامة عند و لي من قوم سليمان عليه السلام يقال له "آصف" فكان رجل سليمان عليه السلام،لم يكن نبيا ولكنه استجاب لطلب سليمان و تمكن من إحضار عرش الملكة بلقيس ملكة سبأ من اليمن إلى بلاد الشام في طرفة عين و هذا دليل قوة إيمانه و قربه من الله [24].

كما تعددت الآراء بين الاعتقاد في كرامات الأولياء وجوازها و بين نفيها واعتبارها خوارق قد تحدث على يد الساحر، أو الدجال أو الكاهن حيث كان يعتبرها الباحثون في التصوف الإسلامي في بداية الأمر بأنها مجرد ظاهرة سلوكية مرتبطة بقوى غيبية وممارسات سحرية وخرافية يعتقد فيها السذج من الناس، بينما هي في الأصل كرامة يظهرها الله على أناس صالحين ملتزمين بالشريعة ظاهرا وباطنا، إن الكرامة مرتبطة بنمط مجتمعي وبأسلوب معيشي معين في الوجود كما تعبر عن ممارسة لمعتقد ديني و تأكيدا لهذا المعتقد [25] أما **عامر النجار** فيعرف الكرامة بأنها " أن الأمر الخارق لا يقترن بدعوى ولا إيحاء لها و لا سحر دجال وإنما يخص الله أولياءه العارفين بها [26]

وإذا نظرنا إلى الكرامة من الناحية النفسية، نجد أنها نتيجة لظروف اجتماعية واقتصادية و ثقافية ونفسية لتفشي الظلم وانقطاع الأمل عند العامة من الناس في الإصلاح من الحكام ،مما دفع بمريدي التصوف بالاعتقاد بحكومة من الباطن التي يحكمها ويتحكم فيها الأولياء من الأبدال والأقطاب والنقباء، فعوض لهم الخيال آلام الواقع ومكنه في نفوسهم و غالبا ما يكون حكام الباطن من الفقراء[27]، حيث كانوا يستعملون لعلاج المرضى الريق بألسنتهم أو يمسحون بأيديهم على موقع الألم مما وفر على الفقراء والضعفاء تكاليف الدواء والطبيب نتيجة الظروف الاجتماعية و الاقتصادية المزرية [28]

أ/ **أنواع الكرامات:** إن أعظم كرامة يهبها الله لمخلوق من المخلوقات هي كرامة الهداية و التوفيق في حياته وأعماله حيث قال القشيري: « اعلم أن من أجل الكرامات التي تكون للأولياء ، دوام التوفيق للطاعة والعصمة عن المعاصي والمخالفات »[29]، لقد اختلف الفقهاء والباحثين في تحديد أنواع الكرامات، فهناك من يقسمها إلى نوعين وهما الكرامات الحسية والمعنوية، وأما الآخرون فيضيفون إلى هذين النوعين نوعا ثالثا وهو كرامة الصديقين والتي تمثل بالنسبة إليهم ضرورة، وكذلك جعلها التاج السبكي في كتابه الطبقات الكبرى أكثر من أربع وعشرين نوعا والتي تتمثل في إحياء الموتى، كلام الموتى، انفلاق البحر والمشي على الماء وغيرها، كما جعلوا لكل عضو من أعضاء الإنسان كرامة خاصة به ولكل طبقة من الأولياء كرامات، بحيث يبدو المشي على الهواء وتحويل الرمال إلى طعام كأنه جزء طبيعي من حياة هؤلاء، الأمر الذي يشعر الجماهير بالعجز أمامهم و الالتجاء إليهم دائما وهذا التنوع في أنواع الكرامات يتيح للأولياء فرصة أكبر للحركة فيستطيعون أن يفسروا أي شيء وبأي شيء، وأما البعض الآخر فقسموا الكرامات إلى نوعين هما الحسية و المعنوية والتي تدخل فيها تصنيف الكرامات الآنفة الذكر ضمن هذين النوعين.

-**الكرامة الحسية:** هي موجودة عند العامة مثل الكلام على الخاطر والمشي على الماء وطي الأرض والإطلاع على الكائن والإخبار بالماضي والحاضر والمستقبل والاحتجاب عن الأبصار وإجابة الدعوى في الحال.

-**الكرامة المعنوية**: هي كرامات خاصة لا يعرفها إلا الخواص من عباد الله وهي كرامة العمل بشريعة القرآن و التمسك بها، و نفس التقسيم نجده عند ابن عطاء الله السكندري في كتابه لطائف المدن [30]

ب-ظهور الكرامات عند الأولياء الصالحين

يحتل الأولياء مكانة كبيرة في المجتمعات العربية عامة ومنطقة المغرب العربي بصفة خاصة ومن بينها الجزائر، حيث نجدها من أكثر المجتمعات احتراما واعتقادا في الأولياء والمشايخ وخاصة ذوي الكرامات منهم، حيث نجد في كل منطقة ولي صالح تلجأ الناس إليه أو تقصده للزيارة و إقامة الطقوس المختلفة منها القيام بالوعدة[*] التي يأتي إليها الناس من مختلف مناطق الوطن احتفاء بما قدمه ذلك الولي الصالح في حياة تلك المجتمعات، ولكل ولي واختصاصه وتميزه بكرامات خاصة عن غيره من الأولياء فنجد أولياء ذوي كرامات خاصة كالعلاج من بعض الأمراض المزمنة والتبرك به لقضاء مصلحة أوحل مشكل ما، وهذا من خلال الاعتقاد بأن أولياء الله الصالحين يمكنهم التوسط بين الإنسان وربه.

أما ما ورد من كرامات الأولياء الصالحين في المجتمعات العربية والإسلامية المعاصرة اعتقاد العامة في كرامات بعض الأولياء الصالحين المنتمين إلى طرق صوفية معينة و التي كان لها الأثر الفعال في الحياة الدينية و الاجتماعية و الثقافية و السياسية وحتى الاقتصادية لهذه المجتمعات، ومن أبرز كرامات الأولياء الصالحين البارزين هم:

- كرامة الولي الصالح "عبد القادر الجيلاني"

الذي عاش في الفترة مابين (**1088- 1166**م) ويلقب هذا الواعظ المبجل في الشرق الأوسط وجنوب آسيا وفي معظم البلدان العربية بقطب الأولياء، حيث يمجده العامة لكراماته المتعددة والمتداولة وهذا بطاعته والعمل على خدمته وهذا بتوفير كل متطلباته و تبجيله كمعين للفقراء، كما عمل على حفظ الحدود والأوامر والنواهي، وهذا لحكمته وحسن تسييره و تنسب إليه الطريقة القادرية .[31]، ومن الكرامات المتداولة في الوسط الشعبي العربي بأنه كان رجلا صالحا يدعوا إلى الخير والفضيلة والدفاع عن المظلومين والعمل على نصرتهم، حيث شغل عدة مناصب منها دور الفقيه و المعلم والقاضي، والحكيم، والأمين ومساعد للفقراء والمساكين، حيث يوجد في كل منطقة من المنطقة العربية ضريحا يحمل اسمه و هناك روايات

---

[*] الوعدة: احتفال كبير يقام كل موسم أو سنة، وهي عبارة عن وليمة يأتي اليها الزوار من كل أنحاء الوطن ويقدمون الهدايا والنذور التي تتشكل من نقود أو إزار ، وتقام على هامش هذه الوعدة انشطة أخرى تتمثل في قراءة القران، إلقاء الشعر الملحون، إقامة العاب للفروسية والبارود، البيع والشراء. وهناك من يرجع كلمة وعدة إلى الوعد الذي يقطعه مريدين هذا الولي للالتقاء كل سنة."

تقول إن "عبد القادر الجيلاني" لم يغادر بغداد أبدا وهذه التسميات ما هي إلا اعترافا و احتراما لهذا الولي الصالح وتكريما له، كما يروى عنه أنه قال « أنا أحفظ مريدي في غيبتي وحضوري، وموردي لا يدخلون النار ولو كان على سبيل المكروه». وقوله أيضا عن أحد طلبته:« إنه يقول للميت قم فيقوم بإذنه» [32].

ذات يوم طلب **عبد القادر الجيلاني** من بعض الناس وديعة كانت عنده لبعض الغائبين، فطلبها منه،فامتنع عن تسليمها إليه وقال له لو استفتيتك في مثل هذا ما استفتيتني بتسليمها إلى غير صاحبها، وبعد مرور فترة من ذلك جاء كتاب صاحبها إلى المودع المذكور وهو يقول:سلم الوديعة إلى الشيخ عبد القادر، فسلمها إليه فعتب عليه الشيخ وقال تتهمني في مثل هذا.[33].

-كرامة الولي الصالح " أحمد بن يوسف":

هو ولي مليانة الموقر الذي كان يعد طيلة قرون من أوتاد المغرب، فهو صاحب الكرامات الشهير ورجل السياسة الخطير، عاش في فترة عبد القادر الجيلاني، فرأى من واجبه وبحكم القرآن الكريم و سنة رسوله الكريم الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، بشتى الوسائل، فكان يتوق للارتقاء إلى مستوى عبد القادر الجيلاني، حيث كان لهذا الأخير تأثير كبير في الطبقات الشعبية. [34]، فروي له عدة كرامات منها أن امرأة مسكونة – بجن –جاء بعلها اليه و حصل منه على " قرطاس" قرأه عليها، وفي الحين نطق الجن على لسانها و صاح " سمعا و طاعة لله و الشيخ إني خارج !"، فتخلصت المرأة بذلك منه، و إذ بالعامة تذيع بأن الشيخ كان يتصرف في عشرين ألف تابع من الإنس و في عدد لا يحصى من الجن.

حسب الروايات المتداولة أن هذا الأمر تكرر في عدة مناسبات، ومن الكرامات كذلك أنه ذات يوم فرض قائد هوارة على محمد أقنيش، تلميذ سيدي أحمد بن يوسف، أن يهدي له " حنبلا " وهدده بالعقاب، إذا لم يأته به، فصار " أقنيش " في حيرة لأنه لم يجد حنبلا للبيع وخاف على نفسه، فرأى في المنام أسدا كأنه اعترضه في الطريق و كلمه قائلا: أذكر اسم الله ولا تخف، فلما أصبح الصباح مضى إلى شيخه وقص عليه ما رأى في المنام و ما سمع، فقال له سيدي أحمد بن يوسف «دداك ذاك»أي هذا جدك ولم يطالبه أحد بعد ذلك بشيء، ومن كراماته أيضا أنه ذات يوم رافق سيدي أحمد بن يوسف تلميذه سعيد أعراب راجلا و هو راكب إلى مسيرة (**21** كلم من مدينة مستغانم) فأعترضهما وادي سيران حاملا، فقال الشيخ

لسعيد أعراب « أمسك ذيل فرسي وأغمض عينيك وتقدم! » فقطعا السيل ولم يمس الماء حذاءه.[35]

-كرامة الولي الصالح " عبد الرحمان الثعالبي": يعتبر عبد الرحمن الثعالبي رجل ثقافة وقد نبغ في الفقه والتفسير ، عاش في عصر كان يعج بالأفكار الصوفية والمفاهيم التقليدية، فكان عبد الرحمن الثعالبي يغلب عليه الطابع الصوفي المقتنع بالمذهب فكان يسوق قولا للغزالي يؤكد به قوله إن الرؤيا هي نوع من الكرامات التي خص بها الله الأولياء عن غيرهم العامة من الناس.

منها ما رأى عبد الرحمن الثعالبي النبي (ص) واقفا على ربوة، يفرق طعاما فأقبل عليه الرسول (ص)، ناوله حتى أكل الكثير، ثم قال له أليس من أطعمة الرسول شيئا لا بد أن تتقيأه، فقال الثعالبي فقلت أو أتقيأه ؟ وتهيأت للقيء فقال له الرسول: ليس هذا أريد، وهنا تفطن الثعالبي إلى أن المقصود إنما هو الحث على نشر العلم وان مثل هذه الرؤى قريبة إلى واقعنا المألوف، وإلى واقع عبد الرحمن الثعالبي وتعلقه بحب الله ورسوله و كتابه الكريم حتى صار يود رؤية ذلك في يقظة أحلامه .[36]

-خاتمة

شكلت المعتقدات الشعبية بمختلف أشكالها دورا أساسيا في حياة الشعوب حيث اعتبرتها العامة بمثابة القانون الذي يضبط المجتمع فاتخذتها معظم الشعوب عرفا اجتماعيا تلجأ إليه كلما واجهتها مشكلة كالاعتقاد في الأولياء وكراماتهم والتي كانت لها أهمية كبيرة في تسيير شؤون القبائل والجماعات وبالأحرى المجتمعات منذ القدم نظرا إلى الدور الكبير الذي كان يقوم به الأولياء الصالحون من أعمال الإصلاح بين المتخاصمين ، وتعليم القرآن والسنة النبوية والتكافل الاجتماعي بين الجماعات.

-قائمة المراجع:

1. صالح، بن حمادي، **دراسات في الأساطير والمعتقدات الغيبية**، تونس: دار أبو سلامة، 1983، ص. 86.
2. عبد المالك، مرتاض ،**عناصر التراث الشعبي في رواية اللاز**_ الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية ،1998، ص 22.
3. الطاهر، بونابي، **التصوف في الجزائر خلال القرنين (6 و 7) الهجريين (12 و 13م)** . الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر و التوزيع ، 2004، ص. 172.

4. بدران، ابراهيم وسلوى، خفاش ،**دراسلت في العقلية العربية**، دارد المعارف، القاهرة، ص ص 127-129.
5. رفيق، العجم. **موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي**، ط1 ، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 1999، ص. 126.
6. سورة يونس الآية 62-63.
7. محمد بن اسماعيل، الصنعاني، **الإنصاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات و الألطاف**.ط1،المملكة العربية السعودية:دار بن عفان للنشر والتوزيع ،1997،ص.46.
8. البقرة ، الآية 257.
9. صلاح عبد الغني، محمد، **موسوعة المرأة المسلمة: المرأة بين العبادات و البدع و الكبائر**.ط1. ج 5. مكتب دار العربية للكتاب ،1998، ص. 139.
10. الحافظ الحكيم، الترميذي، **ختم الأولياء**، ط1.تحقيق و ضبط: أحمد عبد الرحيم، السايح و توفيق علي، وهبة، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2005، ص ص. 148 162
11. صالح، بن حمادي، مرجع سابق ، ص. 179.
12. - عبد الله أحمد، بن عجيبة، **معراج التشوق إلى حقائق التصوف**، المغرب: مركز التراث الثقافي المغربي،1224 هـ ، ص ص.80-81
13. ابراهيم، بدران وسلوى، الخفااش، مرجع سابق ، ص. 266.
14. صالح، بن حمادي، مرجع سابق، ص. 174.
15. سورة عمران ، الآية 37.
16. سورة مريم ، الآية 30- 32
17. سورة الكهف، الآية 17.
18. أبو عبد الله بن محمد بن أحمد ابن مريم المغرواي التلمساني ، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية ، 1986، ص ص. 17- 18.
19. سورة البقرة، الآية 259.
20. أبو عبد الله بن محمد، بن أحمد ابن مريم المغرواي التلمساني ، مرجع سابق، ص.19
21. نفس المرجع، ص.19.
22. صالح، بن حمادي، مرجع سابق، ص ص. 90- 91.
23. نفس المرجع، ص.90.
24. عثمان بن حسنين برى الجعلي، المالكي، **سراج السالك لأسهل المسالك** ، ج1، البليدة: قصر الكتاب، (د، ت)، ص. 51.

25. إبراهيم القادري، بوتشيش . **الاسلام السري في المغرب العربي**. ط1 . القاهرة: دار السينا للنشر ، 1995، ص 132.
26. عامر، النجار. **الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها**. ط 3 . القاهرة: دار المعرفة، 1986، ص. 67.
27. صالح، بن حمادي، نفس المرجع، ص71
28. جمال الحسيني، أبو فرحة، **ميزان النبوة المعجزة**، ط1، القاهرة: دار الآفاق العربية، 1998، ص. 150.
29. ابراهيم، بدران وسلوى، الخفااش، مرجع سابق ،ص ص.67- 72.
30. صلاح عبد الغني، محمد ،مرجع سابق ، ص. 66.
31. يورغن، فريمبغن " **الطرق الصوفية وآثارها في الحياة الاجتماعية والسياسية**" ، ترجمة : محمد حشاش ، مجلة فكر وفن ،عدد 78 ، السنة 41(2003/ 2004)، ص. 31.
32. صلاح عبد الغني، محمد، مرجع سابق، ص. 187.
33. يوسف بن اسماعيل، النبهاني،**جامع كرامات الأولياء**، ط1.ج2، الهند: مركز بركات رضا ،2001 ،ص201..
34. (M), Boudin. «**Notes et Questions sur Sidi Ahmed ben Youcef** ". In revue Africaine. N 66, 1925, Alger: OPU ، 1986، PP 136 -137.
35. صادق ،محمد الحاج ، **مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1994، ص ص. 93 – 94.
36. عبد الرزاق، قسوم ، **عبد الرحمن الثعالبي والتصوف**، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1988، ص ص. 117-120.